جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية – الدراسات العليا

الصّورة الذّهنية في الشّعر العباسي

أطروحة مقدَّمة

إلى مجلس كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة ـ جامعة ديالى، وهي جزءٌ من

متطلبات نيل درجة الدكتوراه في اللّغة العربيّة وآدابها (تخصص الأدب)

من الطّالبة

رغد إسماعيل حسين

بإشراف

أ. د. سعد جمعه صالح الدليمي

١٤٤٦هـ

٢٠٢٥ م

Abstract:

Abbasid poetry stands out as a text of great interest, as it intertwines various directions, inclinations, and religious heritage. Psychological, emotional, and intellectual elements, along with the influences of the Arab environment, harmonize to form spaces that intersect and permeate according to multiple foundations. Consequently, diverse interpretations emerge, particularly within Abbasid poetry and poetry in general.

This poetry is shaped by the poet's self and the surrounding human values, creating an objective debate between the self's vision and its perception of the other. It allows emotional expression through which the poet releases internal charges and emotions stemming from awareness, experience, and expertise in an objective argument that transcends the limits of the self and language. This process reshapes poetry with a modern vision, exploring linguistic systems detached from reality in a new poetic context, pushing poetry towards transformation and transition to styles that exhibit deviation, paradox, and difference in the poetic system, its understanding, and its perception. The multiplicity of interpretations results in diverse images that break the reader's horizon of expectations, offering a new perspective on how poetry is viewed and its impact.

This new perspective explores the visible and invisible aspects of the poetic text, surpassing traditions and customs and re-reading the poetic text through modern visions that manifest in the mental image. This image is characterized by its flexibility, comprehensiveness, foresight, uniqueness, and alienation from reality. It takes on a symbolic, referential tendency that remains unclear to the recipient unless perceived by someone with awareness and knowledge. The mental image reflects the human crisis and the realities of lived

الفصل الأول

سمات الصورة الذهنية

الفصل الأول

سمات الصورة الذهنية

الإنسان يبحث عن الكمال والصورة التامة المستوفية الأجزاء التي تعتمد عليها من كلمة أو عبارة أو نظم أو غير ذلك، وينبغي أن تؤدي كل كلمة وكل حرف وظيفتها في الصورة الأدبية فكانت الصورة الذهنية صورة ((نموذج للتجسيد الذي يحققه الاستخدام المجازي الخاص للغة سواء عن طريق التشبيه أو الاستعارة، والتي تحقق دلالة المعقول بالمحسوس))[١]، بعد استيفائها وتمامها في الصورة الشعرية والتلاؤم التام بين جزيئات الصورة الذهنية وبين فكرتها والشعور الذي تتركه في المتلقي فيكون هناك ثقافة تجارب وانسجام بين المبدع والمتلقي بما فيه من خيال وفكر وشعور فتتحول المدركات الحسية والعقلية إلى حركات مؤثرة وفاعلة تحرك النفس والعقل الذي يجاهد الفكر، وما يحمله من تأن وترابط وتتبع فيتحقق المتعة والإثارة والحياة بقدر ما ينشغل تفكيره وذهنه به. وان المعنى الذي ينتهي إلى المتلقي بعد مثابرة النفس الخاطر، وإعمال الفكر، وربط وإيجاد العلاقات، وتقلبها على وجوهها المختلفة تكون امكن في النفس ،وأعظم تأثيرا، واقوى ارتباطا بها، فيلازمه ولا يذهب منه وسهولة .إن القدرة على الفهم، وبناء علاقات منسجمة يحقق التواصل وإيصال الأفكار والتأثر والتأثير هي غاية الصورة الذهنية ولهذا نرى أن هناك سمات اشتركت بها مع الصورة الأدبية والصورة الفنية كالشمولية[٢]، وهي قابلة للتغيير؛ لأنها ((تنقل الثقافات المختلفة بين مجتمعات العالم، وتقريب المسافات الفكرية وتحطيم الحواجز المصطفة)) [٣]، وبذلك تكون عملية حركية تتبدل وتتغير بتغير الأوضاع الاقتصادية والظروف السياسية

---

(١) المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية: د. عبد العزيز حمودة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، عالم المعرفة، مطابع الوطن، الكويت، ٢٠٠١م: ٣٨١.

(٢) يُنظر: الصورة الذهنية العربية والثوابت والمتغيرات مقاربة معرفية: حسن حميد، نينوعا للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٤م: ١٧٠ وما بعدها.

(٣) العلاقات العامة والصورة الذهنية: د. علي عجوة: ٢٠.

والثقافية والاجتماعية ولكنها بنية تراكمية من الســـمات التي تميل نحو التجانس فهي تمثل أنموذجًا مبسطا لبيئة الفرد، وفكره، وحضارتهُ، والحياة عامة(١).

ونحن لا يمكن أن ننكر ذلك فمنذ القدم منذ خلق الإنسان امتلك صورة ذهنية فالفكر الجاهلي الطفولي كان التخويف من أشياء غير موجودة كما في قول امرئ القيس من [الطويل](٢):

أَيَقْتُلُني وَالمَشْـــرَفيُّ مُضَـــاجِعِي ومَسْـــنُونَـةً زُرْقٌ كـأنيـابِ أَغْوَالِ

خلق الشاعر رؤية الصورة ذهنية توحي بأن الشاعر ينام في حضن الخطر (المشرفي مضاجعي) فالسيف (المشرف) يحيط به كائن حارس، تدعمه السيوف المسنونة الزرق اللامعة فترتسم صورة ذهنية لمشهد شديد التوتر يولد صورة بصرية لسلاح قوي وتشبيه (كأنياب اغوالي) تشبيه تخيلي مرعب فالسيوف تتحول في الذهن الى كائنات اسطورية مفترسة (اغوال) مما يثير الرعب والدهشة في نفس المتلقي وانفعاله.

البيت الشعري يمكننا ان تتخيله مشهداً سينمائياً قائماً على (رحب يتحدى الموت وسط السيوف) وكأنه يكون بين فكي وحوش ومن جانب اخر الغيلان ترمز للشر المحيط بالشاعر كالسلطة او المجتمع او الاعداء.

وإنما اخترعها الوهم فهو خداع للعقل يبرز قدرة التحكم في اللغة وإنتاج المعنى من خلال التركيب وإسناده إلى زرق الأنياب، إنَّ الصـورة الذهنية معرفية (إدراك ، فهم ، تذكر) وتخضـــع للمتغيرات والعوامل وتطور في إطار ثقافي معين وتتشـكل من خلالها ســلوكيات وهو لا يغادر الذوق السائد على مستوى بنيان التلقي وتداولية الخطاب الشعري(٣).

---

(١) يُنظر: العلاقات العامة والصورة الذهنية: ١٣-٥٣.

(٢) ديوان امرئ القيس: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي من بني اكل المرارة (ت: ٥٤٥م)، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٤م: ١٣٧.

(٣) يُنظر: الصورة المحلية في الشعر العراقي المعاصر بين الرؤى اليومية والبعد العلامي: أحمد عبد الحسين الفرطوسي، أطروحة دكتوراه، كلية ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠١١م: ١٥-١٦، والصورة السمعية في

المتلقي قادر على اســتيعاب الحالة النفســية والأفكار والتطورات التي يحملها النص متمكنا وساندا للنص والشاعر.

إنَّ التطورات الفكرية القت بظلالها على الشعر وترك شطري الشعر ظلال رحبة ونصية للخيال، وكأنَّه يبرز في الذهن القدرة على التلقي الفعال المبدع والمستمع، ولذلك يمكن حصد سمات للصورة الذهنية ومعاييرها التي هي تتضح فيما يأتي:

جزء عم (دراسة أسلوبية)؛ حسين علي ناصر الجعفري، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١٦م: ١٠٠ وما بعدها.

المبحث الأول

الانفتاح الزماني المكاني

يعيش الشاعر العباسي في مجتمع متعدد الثقافات يجد نفسه ملزما بمقابلة أشخاص من خلفيات مختلفة في كل مكان ويصادف أنماطًا مختلفة من السلوك واللغات والآداب نتيجة التوسع، والترف الذي شهده، العصر العباسي ولذلك تعددت الاتجاهات والمنطلقات وحتى القيم التي سادت في المجتمع العباسي، وانعكست على الشعر فكان لابد من فهم المعتقدات السائدة والممارسات المنتشرة والتنوع الحاصل والتعايش مع العديد من أنماط الناس فاحتاج الشاعر متلقياً خبيراً في رؤية الأشياء من وجهة نظر الآخرين وتفهم آرائهم، ومعتقداتهم، فاصبح الشعر العباسي وليداً ثقافياً، وليد الانفتاح، والتطورات الجذرية في مجالات الحياة عامة وليعزز المكتسبات، والتواصل بين المجتمع، وبين الحياة، وتباين الأفكار، والمبادئ والعلاقات الإنسانية، وتفسير العلاقة بين دلالة الأبنية اللغوية، وتأويلها للاهتداء إلى الدلالة المقصودة(١).

بشار بن برد من [البسيط](٢):

يَا قَوم أُذُنِي لِبَعْضِ الْحَيّ عَاشِـــقَةٌ وَالْأُذنُ تَعْشُـــقُ قَبـل الْعَيْنِ أَحْيَـانًـا

المرأة قيمة عليا في الحياة تحولت الى رمز شعري محمل بدلالة في صورة ذهنية داخلية غير مشاهدة تتجاوز الواقع المألوف الى التمثيل الذهني بني في الادراك الحسي والتأويل الذهني ويعيد تشكيل العلاقة بين الحواس والمعنى. فهي صورة مغايرة بلاغياً ومعرفياً تنتمي الى زمن بدأ فيه الشعراء العباسيون بتفكيك مركزية الادراك البصري لصالح الادراك التأويل الداخلي، إذ إن السمع يحول الكلام الملقى إلى عالم مرغوب في إبداع جديد يتجاوز تراسل وتفاعل الحواس ويغير الثوابت.

---

(١) يُنظر: الصورة اللونية في النثر الفني الأندلسي من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف: مهدي علي محمد الميالي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٩م: ٢.

(٢) ديوان بشار بن برد: ١٩٤/٤.

فالعين هي الأصل والأذن تأتي بعدها فاستفز انتباه المتلقي بكسر أفق التوقع .

فأسس الخط الجديد في الشعر يقوم على التفكير بالسمع وجعل السمع سبيلا من سبل إنتاج المعرفة، في تحول ذهني ثوري نقل الحب فيه من العين الى الاذن.

الصورة الذهنية تخفي لعبة إدراكية عميقة كائنة في أغوار الذهن البشري وطريقة تشفيره للأشياء والموجودات في عالم يتفاعل المحيط الثقافي مع الذات ضمن الثقافة العربية إن العشق قائم بدرجة أولى على محاسن الجسد وجماله وتفاصيله لكن في بيت بشار يحيل إلى خلق رمزي للإحساس البشري كأنَّهُ في أغوار الذهن البشري فمثلها الشاعر تمثيلا عميقا حقق مغايرة ذهنية فانزاحت العين لتفتح المجال للأذن من باب تفاعل الحواس أو تراسلها فطرق فلسفة جديدة ولفت النظر إلى إبداع جديد يتجاوز العشق بالنظر إلى العشق بالسمع فهذا التحول تثيره جملة الافتراضات العقلية ويمكن أن تتوسع التقاط تفاصيل وبنى الاستعارة التصويرية قائمة على إحداث تأثير تفكيري معرفي مع صورة التشبيه إلى بعد نفسي في حالة تعويض عن فقدان البصر وعلى افتراض انه تكلم مجازا واستشرف للمستقبل ممهدًا للعشق في واقعنا الحالي، إذ نجد أننا اكثر الكائنات عشقا بالسمع في ظل التكنلوجيا الحديثة. إنّ الحياة تخلق سياقات جديدة تحتاج لإعادة التفكير بمنطق جديد فأصبحت تعمل حكمة سديدة على وفق منطلقات وتوجهات نحو عوالم موازية تشكل في وعي المتلقي تجربته ويمكن ملاحظة ذلك في قول المتنبي من [البسيط][1]:

عِيدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يا عِيدُ بِمَا مَضَى أَمْ لأَمْرٍ فيكَ تَجدِيدُ

هذا مطلع قصيدته بدأها بالشكوى من الزمن تزامنا مع عيد الأضحى وكانت لغته بسيطة وقوية بالوقت نفسة فهي تحمل تداخلاً زمنياً، صورة عيد منفي مبهم صورة ذهنية تشاؤمية وتعيدنا لمدحه سيف الدولة من [الطويل][2]

(١) ديوان المتنبي: ٤٨٥.

(٢) ديوان المتنبي: ٣٧٠.

هَنِيْئًـا لـكَ العيْـدُ الّـذي أنْـتَ عِيْـدُهُ وعيْدٌ لمَنْ سَـــمى وضَـــحّى وعَيَّدَا

صورة ذهنية ثانية للعيد هي صورة عيد مشرق ممجد بسيف الدولة تفاؤلية، العيد رمز ديني سمي عيدا لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد، واصل العيد ما اعتاد من الماضي والحاضر والمستقبل في معادلة غريبة[1](عيد) لتتواشج مع ما أثارته في البيت من الاستفهامات لا تحتاج إلى أجوبة في نص يحمل القدرة على التفاعل مع الماضي والمستقبل دون الذوبان في احدهما فجعل في النص حركة انفعالية منفتحة زمانيا ومكانيا، تضم هموم وأحزان العيد شاكيا ما صار إليه حالة بعد أن حالت الحياة بينه وبين أحبابه وآماله وطموحاته فيستذكر في إشارة إلى الماضي، إذ حوَّل العيد من رمز فرح إلى رمز حزن وألم مبالغة ((القدرة على تلقي صور المحسوسات، وإعادة تشكيلها بعد غيابها عن الحس))[2]، أنسن العيد وخاطبه باستخدام التنكير ليمنح الفكرة شعوراً غامضاً يحمل رغبة او امنية يأمل في تحقيقها، ويبث فيها حزنه.

ويمكن أن نلتمس في البيت وما بعده دعوة للثورة ورفض الواقع ورغبة في حدث متحالف مع الماضي يترجمه المستقبل لتنهض بالأمة وتحرك النفوس نحو طلب العلا فهو يدعو ويرى إلى حياة افضل فهي رؤية ثورية على الواقع المرير الذي يعيشه الشاعر والمتلقي. فأصبحت قصيدته حية ما دام القارئ حيا فالصراع محتدم ولا يتوقف عند رؤية مستقبلية وحدس للتجديد.

من ذلك تلاحظ أن الصورة الذهنية للمتلقي أسهمت في تأويل النص مع كل قراءة تتجدد لمغايرة الذهنية ((فالاحتفاء والصيغة في التصويرات التي تروق السامعين وتروعهم، والتخيلات التي تهز الممدوحين وتحركهم، وتقول فعلًا شبيهًا بما يقع في نفس الناظر، إلى التصاوير التي يشكلها الحذاق، والتخطيط، والنقش أو بالنحت والنقر، كما أنَّ تلك تعجب وتخلب، وتروق وتؤنق،...، كذلك حكم الشعر فيها يصنعه من الصور، ويشكله من البد ويوقعه في النفس من المعاني، التي يتوهم بها الجامد الصامت، في صورة الحي الناطق... حتى يكسب الدنيء

(١) يُنظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ابن الأنباري، مؤسسة الرماح، بيروت، ١٩٩٥م: ٢٩١/١.

(٢) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: ١٤.

رفعة والغامض القدر نباهة))[١]. الصورة الذهنية قائمة على التخييل الاستباقي المرتبط بالخوف او الامل وهو ما يحفز الخيال الشعري.

إن الرغبة والتطلع لاستشراف فطرة ملازمة للتفكير الإنساني، فمازال دأب الإنسان منذ وجد على هذه الأرض رغبة لا نتحقق فقد كانت المجتمعات كافة شديدة الولع به والاهتمام وهو بمعرفة ماذا يحمل المستقبل يحاول اكتشاف ما هو له والتنبؤ بالأحداث المستقبلية .

وبرزت وسائل بدائية او غير عقلانية على مدى تاريخ الشعوذة و ادعاء علم الغيب البشرية مثل التنجيم والسحر والكهنوتية وغيرها للكشف عما تخبئ الحياة فمعرفة المستقبل هاجس النفس البشرية التي ترمي إلى رؤية ومعرفة القادم، وكان الشعر ميدانا استطاع الشعراء والنقاد النفاذ إلى المستقبل المجهول وبرز مصطلح انسجم مع طرائق التفكير بالمستقبل وهو:

- الاستشراف[٢]: اذا تتبعنا مسار هذه اللفظة في المعاجم للوقوف عند دلالتها اللغوية الممهدة للمعنى الاصطلاحي، نجد أن ((الشرف كل ما ارتفع من الأرض قد اشرف على ما حوله))[٣].

أي موضع العالي يشرف على ما حوله .

((والشرف: العلو والمكان العالي)) [٤].

وتشرف الشيء واستشرفه وضع يده على جبينه ويُنظر كالذي يستظل من الشمس حتى يبصره ويتبينه وشارف الشيء دنا منه وقارب أن يظفر به.

---

(١) أسرار البلاغة: ٢٧٦.

(٢) ينظر: استشراف المستقبل كرؤية واقعية لعلم النفس الايجابي بتطبيق استراتيجية التفكير الايجابي: مشتة عبد اللطيف، مجلة حوليات، جامعة الجزائر، مجلد (٣٥)، العدد (٤)، ٢٠٢١م: ٥٥٣.

(٣) تاج اللغة وصحاح العربية:إسماعيل بن حماد الجواهري، دار الحديث، القاهرة، ط ٣،مادة شرف:١٣٤

(٤) المصدر نفسه: ١٣٤.

أما في الاصطلاح ((اجتهاد منتظم يرمي إلى صوغ مجموعة من التوقعات والتنبؤات المشروطة التي تشمل المعالم الرئيسية لأوضاع مجتمع ما، أو مجموعة من المجتمعات في فترة زمنية مقبلة، وذلك عن طريق التركيز على المتغيرات التي يمكن تغيرها)) (١).

يمكن أن يعرف على أنَّهُ ((من تحويل معرفة الماضي إلى معرفة المستقبل ويمكننا فعل ذلك باستعمال الأدوات التي أعطتنا إياها الطبيعة ذاكرتنا وذكائنا وتخيلنا))(٢).

ووجد مالك بن بني أنَّه ((تطور الواقع المقبل للأحداث والظواهر انطلاقًا من شرفة واقعها الحاضر ، واستيعابًا لعبر واقعها الراحل))(٣).

ومعرفة الأحداث الزمنية يمثل القدرة على قراءة بعض أحوال الماضي والتنبؤ ببعض أحوال الحاضر والمستقبل، بطرائق مختلفة ولقد فسر العلماء هذه الظاهرة افتراضًا، وقالوا باختراق حاجز الزمن بناء على كشوفات غيبية، يجعل بعض الأشخاص متمكنين من معرفة الأحداث وتوقع ما سيحدث(٤).

((الرؤيا التي ارتفعت بالشاعر وبموهبته من مستوى البصر إلى الاستبصار، ومن إمكانات العقل الظاهر إلى استغلال قوى العقل الباطن وخلخله شعوره، ورغباته الكامنة فيه ليظهر

---

(١) تأصيل استشراف المستقبل من خلال السنة النبوية الشريفة: د. محمد سيد أحمد شاحته، بحث مقدم لمؤتمر جامعة القصيم بعنوان ((الفتوى واستشراف المستقبل)) السجل العلمي للمؤتمر، السعودية، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م: ١٩٤.

(٢) الدراسات المستقبلية "الإشكاليات والآفاق": عواطف عبد الرحمن، بحث منشور، مجلة فكر الكويت، العدد (٤)، ١٩٨٨م :١٤.

(٣) الاستشراف مناهج استكشاف المستقبل: إدوارد كورنيش، ترجمة: حسن الشريف، الدار العربية للعلوم، ط١، ٢٠٠٧ م:١٣، ويُنظر: استشراف المستقبل من شروط النهضة إلى الميلاد الجديد، مالك بن بني، منشورات بحوث الملتقى الدولي بتلمسان، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف في الجزائر، ٢٠١١م:١٧.

(٤) يُنظر الباراسايكولوجي: سامي أحمد الموصلي، دار دجلة، العراق، ٢٠١٤م: ١٠-٨٣.

مستقبلا تعجز من إدراكه الحواس، وتعجز نحن عن أدراكه))[١].

يتضح أن هذا المصطلح معناه يدور حول الاستدلال على الكلام، التوجه المستقبلي، لذا فهو يختلف باختلاف الوسائط التي يظهر من خلالها فهو استكشاف المستقبل.

ومن المصطلحات المرادفة للاستشراف والمستعملة في الأدب هي التنبؤ والاستباق في الرواية[٢].

والاستباق هو ((التلميح لواقعة مستقبلية لم يصل إليها الكاتب بل يريد الوصول إليها وتجسيدها على ارض الواقع، لأنَّ السين وما بعدها استئناف لما يحصل في المستقبل))[٣] لذا فالاستشراف قائم ويرتكز على الزمن.

إن الصورة الذهنية تقدم حضورا جماليا فكرياً معرفيا ودلاليا وشعورياً يسلط الضوء على الاستشراف بوصفه حدس انساب وتوقع حيوي قائم على تصورات ذهنية ترصد الماضي الحاضر والمستقبل. تعزز الصورة الذهنية فهم الماضي والحاضر لاستكشاف بذور المستقبل فيه وتحقق الفكر المغاير فيكسب الشعر قيمة جمالية للمعاني الفكرية[٤]

بلغ النص الشعري العباسي ذروة من النضج واكب فيها التغيرات والتعدادات الفكرية والمذهبية التي ساهمت في تطويره وبعد استقراءه ومعرفة البنية التشكيلية والمضمون للنص التي شهدت عدولاً تجاوزتا النظرة السطحية نحو رؤية عميقة للمستقبل، وتصدر عن واقع الحياة؛ لان التتابع الزمني يتدخل بفعالية في تنظيم الوحدات البنائية داخل العمل, ويعمل على

(١) الاستشراف في القصيدة العراقية الحديثة: ضحى ظاهر ياسين ، رسالة الماجستير ،كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ديالى، ١٤٤٢هـ – ٢٠٢١م : ٧.

(٢) يُنظر: تاريخ اشتغال الزمن في رواية (رجل تتعقبه الغربان) للروائي يوسف المحيميد: د. غانم بن سليمان بن علي الغانم، جامعة القصيم، السعودية، مجلة كلية العلوم، العدد ١٤٤، ٢٠٢٣م: ٢٤٣.

(٣) شعرية الخطاب الشعري: محمد عزام ، دمشق، ٢٠٠٥م:٩٠١.

(٤) ينظر: الاستشراف في ديوان لماذا تركت الحصان وحيداً لمحمود درويش: سهير صالح علي، مجلة كلية اللغات، جامعة بغداد، مجلد (١) ، عدد (٣١)، ٢٠١٥م: ٢٣-٥٠.

تحقيق تناغم وتوافق بين بنياته، وهو أيضا عنصر – الزمن – الماضي الذي سمع به والمستقبل الذي تلوح بوادره , فيحضر في الذهن من خلال التأمل في آثاره(١).

النص الإبداعي الذي يقدمه الشاعر للمتلقي فيجعل آفاق المستقبل مفتوحة ومما لا شك فيه أنَّنا عند نتعامل مع نص تراثي يقدم صوراً ذهنية مغايرة على ما هو مألوف من سياقات وبذلك يصبح العقل عاجزا عن فهم المتناقضات والولوج بعوالمها ومراعات مقومات التأسيس الجمالي لتشكيلات الصور الذهنية في عالم الإبداع لتشكل محفزا للقبض ومعالجة الثغرات الفكرية ((فإنَّ اللغة هي سبيل نقل المعاني والأفكار التي تدور في أذهان المتحدثين، وسيلة تواصل بين بني البشر))(٢)، ولأجل ذلك حاول البحث إنارة السمات الفكرية والجمالية للحدس والاستشراف في ضوء معطيات تعد بديلاً جديداً يترابط وينسجم مع الطروحات الجمالية والمعرفية المعاصرة، إنَّ الصورة الذهنية تقدم حضورا جماليا معرفيا ودلاليا يلقي بضلاله على الاستشراف بوصفه استشهادا وتوقعاً حيوياً قائم على تصورات ذهنية ترصد الحاضر والمستقبل معًا. فتعزز الصورة الذهنية نتاج الخيال وتحقق الفكر المغاير فيكسب الشعر قيمة جمالية للمعاني ابتكارًا وإبداعًا وتتولد بالتداعي صور متعددة تحمل تفصيلات دقيقة ومبالغة وفق خبرات وتجربة وخزين معرفي ووعي مختلف عالم خاص يحمل استشرافا في جميع العصور(٣).

مثل قول المتنبي من [الوافر](٤):

إذا غَـامَـرت فـي شَـــــرَفٍ مَـرومٍ فـلا تَـقـنـعَ بِـمـا دونَ الـنُـجـومِ

(١) يُنظر: الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث: بشرى موسى صالح، المركز الثقافي الحديث، بيروت، ط١، ١٩٩٤م: ١٩-١٠٥.

(٢) إعمال (إذ) الظرفية عمل (أنَّ) المصدرية في الدرس النحوي: أ.د محمد فرج علي فرحات، مجلة أوراق معجمية، المجمع العلمي العراقي، العدد الخامس، السنة التاسعة، ٢٠٢٤م: ٢٤٣.

(٣) مقدمة لدراسة الصورة الفنية: نعيم اليافي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٢م: ٤١-٤٦.

(٤) ديوان المتنبي: ٢١٦.

استشعر الشاعر صورة ذهنية استشرافية لانها تستدعي طاقة مستقبلية طموحة تتجاوز الواقع.

ونلحظ أن هناك اعادة ترتيب نظام الادراك الحسي والمعنوي الى الادراك الاسطوري فحول نظره الى الكون.

كان إزدهار العصر العباسي وما أحاط به من انفتاح وتلاقح فكري وثقافي وديمومة وتنافس الوصول إلى أجود النصوص الأدبية والشعرية تجاوزت متواري واختراق للمستقبل وخاصة عند بشار وابي نواس والمتنبي والمعري فكانت لهم تجارب ورؤى خاصة بهم تحمل تأويلات متنوعة ترتكز إلى الخبرات والوعي وحسن الإدراك، وسعة في التفكير إلا أنها تبقى افتراضات او القادم المتطلع اليه اكثر من كونها كشفا جديدا أو استشرافا بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة لما فيها من خصوصية زمنية.

ويمكن أن نقسم الاستشراف على قسمين في الشعر العباسي:

أولا: الاستشراف الاجتماعي:

المبدع ابن بيئته يخضع لسياقها الثقافي وامكانياتها المختلفة وبين افق القارئ والنص تتشكل عوالم ممكنة وتعاد صياغة القصائد ويتضح الاستشراف في علاقات جدلية يربط فيها القارئ العالم المتخيل بالعالم الواقعي ((إن اهم ما يميز الشاعر البارع من غيره هو تلك القدرة الذهنية التي تجعله ينظر الى ابعد مما ينظر سواه، ويكشف علاقات لم يلتفت اليها معاصروه)) [1]

لمواصلة الحياة على نحو آخر في مواجهة الواقع، فتجتمع الانزياحات والتحولات لتشكل عالما من الجمال متعدد التوجهات فكانت القصائد منطلقا يعيد فيه الشاعر توجهاته ورؤاه مع الحياة

(١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: ١٨٧.

والإنسان ((وهو يتحدث عن ذاته والعالم الخارجي ويصوغ قيماً جمالية منه لتنفتح على قدرة اللغة التي لا تسعف جميع الشعراء إلا بعد تطويعها ويستمد الشاعر منها أسلوبه ويحولها إلى قوة رمزية تحمل رسائل التغير كما يفتح المتخيل على تمثلات العالم والأفكار الجاهزة التي يظنها الإنسان حقيقة يدركها الوعي))[١] ويعيد التفكير فيها وينتقدها ويكتشف اصلها وحقيقتها فتراثنا متحف للأفكار نفخر به وننظر اله بأعجاب ونقف أمامه في انبهار وندعو العالم لرصد الذاكرة وتحولاتها الفكرية إلى طاقات إبداعية يزخر بها تراثنا ((إعادة بناء للتراث من داخله بما أتيح للباحث من وسائل عصرية، مناهج أو تصورات أو لغة، وهي مشاعة عند المثقف العادي لا تنسب إلى بيئة ثقافية دون غيرها))[٢] من ذلك قول أبي نواس (ت:١٩٨هـ) من [الوافر][٣]:

دعِ الأَطْلَالَ تَسْـــفِيْهَـا الـجُنُـوْبُ وَتُبْلَـى عَهْـدَ جِـدَّتِهَـا الـخُطُوْبُ
وَخَـلِّ لِـرَاكِـبِ الـوَجْـنَـاءِ أَرْضًـــا تَخُـبُّ بِهَـا النَّجِيْبَـةُ وَالنَّجِيْـبُ
بِـلاد نَـبْـتُـهَـا عُسْـــرٌ وَطَـلْـح وَأَكْثَرُ صَـــيْـدهَـا ضَـــبْعٌ وَذِيْـبُ
فأطيَبُ مِنهُ صـــــــــافِيةٌ شَـمولٌ يَطوفُ بكـأسِـــهـا ســـــاقٍ اديـبُ

امتدت الصورة الذهنية للمجتمع والبيئة فأصبحت السخرية من الاطلال. تنتج صورة ذهنية مغايرة لما ترسخ في الشعر الجاهلي ووعي المتلقي.

الاطلال والجنوب وراكب الوجناء والنجيبة والطلح، مدركات حسية تعتمد على الذاكرة ابرزها في صورة تخيلية مغايرة فالمجتمع العباسي متمدن تشرب بالتحضر والترف. فلفظة (دع) تتثرير صورة تفاعلية اسطورية تكشف عن تشكيل صورة ذهنية تحمل رؤية تغيرت عند ابي نؤاس بوصفها بنية دلالية بالمتن الجاهلي او العباسي التقليدي الى معنى اعمق هو التفاعل

(١) التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم: حسن حنفي ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨١ م : ١١

(٢) التراث والتجديد، موقفنا من التراث القديم: ٤٩.

(٣) ديوان أبي نواس برواية الصولي ، تحقيق : د . بهجت عبد الغفور الحديثي ، دار الكتب الوطنية ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (المجمع الثقافي)، ط ١ ، ٢٠١٠ م : ١١-١٢.

مع الحياة وقلب العرف السائد نحو مستقبل تكون الخمرة رمزاً للكرم والضيافة ومنه قوله من [البسيط][1]:

عَـاجَ الشـــقيُّ على ربع يســـائِلُـه وعجـتُ أســـألُ عن خمَّـارةِ البلـدِ
لَا يُرقـئُ اللهُ عينـي منْ بَكَـى حجرًا ولَا شَـــفَى وجْد منْ يَصـــبُو إلى وَتَدِ
قـالُو ذَكَرتَ ديـار الحيّ من أســـدٍ لَا درَّ دَرُّكَ قُـل لي من بنُو أســـدِ

فكيف له أن يتغنى بالصحراء في شعره وفراق الأحبة والخيم وهو يعيش بعيداً عن الصحراء والبادية فكانت طروحاته متوافقة مع الحياة التي يعيشها وعصره وربطها بالخمرة التي تعد قيمة نبيلة ذات صلته بالكرم والفروسية تمتد الى جذور راسخة في الموروث وذاكرة اللغة الجمعية.

أراد أن يتخذ مذهبا جديدا هو التوفيق بين الشعر، والحياة، والحاضر بحيث يكون مرآة صافية تنعكس فيها الحياة لذا كانت دعوته إلى التجديد في مقدمة القصيدة تمرداً على القديم والتمسك بالماضي والجمود، ودعوة إلى التقدم والتحرر من القيود والانطلاق نحو التحضر والانفتاح فحمل أفكاراً وتصورات ذهنية سابق بها غيره فأعاد رسم الحياة والواقع فكان له ما أراد فالحياة والإنسان في تقدم وتطور وثورة وطلب للتغير دائمًا ((فتراثنا الشعري موجود بنا وفينا وفي نفس الوقت يؤثر فينا وكأنه يشكلنا بقدر ما نشكله رغم بعده التاريخي))[2].

ونلتمس الاستشراف والحدس في قول المتنبي من [البسيط][3]:

أَنَـا الَّـذِي نَظَرَ الأَعْمَى إِلَى أَدَبِي وَأَسْـــمَعَتْ كلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَـــمَمُ
أَنَـامُ مِـلْءَ جُفُوْنِي عَنْ شَـــوَارِدِهَـا وَيَسْـــهَرُ الخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِـــمُ

(١) ديوان أبي نواس برواية الصولي : ٧٦.

(٢) مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي: جابر عصفور، المركز العربي للثقافة والفنون، ط١ ،١٩٨٢م، ٢٠١٠: ٢١٠.

(٣) ديوان المتنبي: ٣٢٣.

لقد حملت أبياته حدسًا وتنبؤا للمستقبل تحقق في حياته وبعد مماته فالتفرد (أنا) العالية الواضحة غير الخفية ليست مدار الجمال الوحيد الذي تحمله الأبيات، فالمتنبي اذهل الشعراء والنقاد من الذين عاصروه والذين جاؤوا من بعده فنجد فيه استشرافاً إشار لها أبو العلاء المعري المعروف برهين المحبسين الذي وسم ديوان المتنبي بـ(معجز أحمد) كأنَّه يقصده بقوله: ((كأنَّما نظر إلي بلحظ الغيب))[1]، وهو تعبير واضح وصريح عن قدرات المتنبي الإبداعية الفذة التي تصل إلى حد الإعجاز فكيف له أن يحقق هذه القفزة الزمانية واستشراف لمستقبل شعره فكانت ثقته بشعره، هنا صورة ذهنية تقوم على المفارقة اذا جعل من الاعمى ينظر فأدبه مرايا حتى لمن لا يبصر فالاثر الادبي يتجاوز الحواس.

الصورة ترتسم ذهنياً مشهداً فيه اعجاز وتفخيم لقيمة الكلمة. ونلتمس حدسا وإشارة في عجز البيت الأول إلى اختراع لغة يمكن بها التواصل بين ذوي الاحتياجات الخاصة.

أما البيت الثاني فنبوءته المتحققة بانشغال النقاد والشعراء واشتغالهم في شعره في العصور التالية فكان كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه قديما[2]، والدراسات الأدبية والنقدية التي تناولت شعر المتنبي بالتحليل والتأويل على وفق مناهج متعددة مثالا على رؤيا وإبداع المتنبي وما ترمي إليه أفكاره من مساحات ابعد من زمانه الذي عاش فيه واستشرف المستقبل منه.

ينام الشاعر بينما الناس منشغلين بسبب ابياته الشعرية فقد جعل من نفسه وادبه ظاهرة تتجاوز الادراك العادي وهذه من ابلغ صور الفخر في الشعر العربي.

---

(١) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي العلاء المعري (ت:٤٤٩هـ)، (معجز أحمد)، تحقيق: د. عبد المجيد ذياب، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م: ٤، ويُنظر: الاستشراف في النص: دراسة نقدية في استشراف المستقبل: عبد الرحمن العكيمي، ط١، ٢٠١٠: ١٠ وما بعدها.

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه : أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت٣٩٢ هـ) ، المحقق أبو الفضل إبراهيم ـ علي محمد البجاوي ، الناشر عيسى الباب الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ط١، ١٩٦٦ م: ١-٥٦٣.

ثانياَ : الاستشراف السياسي:

اذا كان الاستشراف هو نتاج تفاعل افكار ورؤى تحكمها تصورات مسبقة تحقق دهشة وغرابة وتأثيراً استوقف المتلقي وهو يحاول أن يعرف ما يفكر فيه الشاعر وهو يتخيل مشهداً ينزاح من التعبير نحو الفكر خارج اطار الزمان والمكان.

ينم عن وعي وخبرة امتلكها الشاعر ليخلق هذه الرؤيا التي تحمل طاقة متفجرة تستقري المستقبل وتنبأ به قبل وقوعه وعرف النتائج المترتبة على هذه الرؤيا(١).

وكذلك نجد في قول أبي تمام(٢) من [لبسيط]:

السَّـــيْفُ أصْـــدَقُ أنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ فِي حَـدِّهِ الحَـدُّ بَيْنَ الجِـدِّ وَاللَّعِـبِ
بِيْضُ الصَّفَائِحِ لَاسُوْدُ الصَّحَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشَّـــــكِّ وَالرِّيَـبِ

أنسن ابو تمام السيف في تصور عقلي قائم على أساس جمالي فكري قوامه الدهشة الفكرية التأملية النابعة من الصورة الذهنية تستشرف وعي المتلقي الذي ايقظ شرارتها الجمع بين المتنافرات والاغراب والتضاد. فشكلها في لعبة جديدة قدمت استشرافا سياسيا مؤداه أن الحياة تتقدم وتسير وفق الإعداد والتخطيط المعرفي قوة الفعل لا على الوهم والتنجيم (القول) تكشف الصورة الذهنية عن انزياح في مركز الحقيقة فالحقيقة تنبع من القوة لا من النصوص.

ونجد عند المتنبي استشرافًا سياسيًا لرؤيا رسمها تجاوزت حدود الزمان والمكان وجاء بصورة ذهنية تحمل تعددية معنوية تشكل صدمة للمتلقي لما فيها من جمال فكري وتأثير على المتلقي وكأنَّهُ يعيش في القرن الواحد والعشرين فنرى كيف استشرف زمانا ليس زمانه حيث

(١) يُنظر: الاستشراف في النص دراسة نقدية في استشراف المستقبل: عبد الرحمن العكيمي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٠ م:١٠ وما بعدها .

(٢) ديوان ابي تمام: ٢٧.

تتصادم الحقائق بالواقع واستجابة لدى المتلقي ان ما جاء به الشاعر كان حسب زمانه وعصره(١)، من [الطويل]:

أَتَوْكَ يَجُرُّونَ الحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ سَرَوْا بِجِيادٍ مَا لُهنَّ قَوَائِمُ

يحمل البيت رؤيا استشرافية هي نتاج وعي بالمستقبل قائ على مجاز مبتكر فدمج في ذهننا الخيال والواقع مما يراه المتلقي في عصرنا الحالي لشكل الآليات العسكرية الحديثة المستخدمة في الحرب والتي يمكن أن تخترع في المستقبل. إنَّ استعمال المتنبي لعلاقات لغوية جديدة وصياغات اغنت الصورة الذهنية للحرب وهي لا تصور جيشاً على فيل بل على الات والمتلقي يرى في ذهنه جياداً معدنية او مركبات تنزاح من المعنى الواقعي الى الصورة المستقبلية. وضعنها في قمة الشاعرية المتناهية في الارتقاء والنتقل من المعنى البسيط الذي لا يوحي ولا يترك الدهشة في المتلقي وجاء ببناء لغوي يفضي الى معنى يواكب الزمان والمكان المتغيران وينفتح على تعدد وتنوع الثقافة لفتت الانتباه وجذبت المتلقي وحملت صورة ذات دلالات ايحائية ورمزية متفردة في يجرون الحديد اذ تستدعي تأملاً ووقفة ونظر اذ الوعي المتطور والخبرة والرغبة في التجديد والتفرد خلقت صورة ذهنية دمجت الفكر والسعة والانفعال في رؤية دلالية غير نمطية للحرب من السهام والسيوف والرماح الى الحديد والمركبات والعتاد. تتفجر بالطاقات تحيل على القوة والتمكن والكثرة والعظمة والتخويف في صورة ذهنية جزئية اكتملت الى مساحات جديدة ولدت شكاً وارباكاً واعجاباً في نفس المتلقى الواعي الخبير (٢).

(١) ديوان المتنبي :٣٧٦.

(٢) الاستشراف في القصيدة العراقية الحديثة: ضحى ظاهر ياسين، رسالة ماجستير، جامعة ديالى كلية التربية للعلوم الإنسانية ، ٢٠٢٠م : ٦٧ بتصرف.

كما ان استعماله لمفردة (سروا) ينبئ عن السرعة والدقة في الحركة وانتقال الشيء من مكان إلى آخر دون لمس الأرض فكيف الإنسان يعيش في الصحراء أن يرى ما لم يكن في زمانه؟ وان يواكب المستقبل؟ ويرى البحث أنَّهُ مستمد من الثقافة الدينية، ومنه قوله أيضا(١):

وَقَفْتَ وما في المَوْتِ شَـــكٌّ لواقِفٍ كَـأَنَّـكَ في جَفْنِ الرَّدَى وهو نـائِمُ
تَمُرُّ بِـكَ الأَبْطـالُ كَلْمَى هَزِيْمَـةً وَوَجْهُـكَ وَضَّـــاحٌ وثَغْرُكَ بـاسِـــمُ

صورة البطل مستوحاة من ذاكرة اللغة الجمعية فالعرب ينصفون اعدائهم ولايحبون مقاتلة الضعيف لهذا نجد تكلح وتعبس يتناسب مع وجهك وضاح . إن قدرات المتنبي ومعرفته، تحمل عمقاً فكرياً وتأويلاً ولدته الصورة الذهنية قائمة على المفارقة النفسية فتوهم بعلاقة مستقبلية فأثرت بعمق في المتلقي فكأنما يعيش في القرن الواحد والعشرين تطور أجهزة المراقبة والحاسوب والأقمار الصناعية وما نتج عنها من صور مرئية فكأنه يستشرف صور أعداءه وهم مجروحون مهزومون وتحمل وجوههم البؤس والكأبة وفي الوقت نفسه ينظر اليهم وهو مبتسم ضاحك لآنه امن ناجي مما أصاب أعدائه وكأنه متفرج على شاشة فليس من المعقول أن تمر به الأبطال جرحى وهو يقف يبتسم ويضحك والموت غافل عنه إلا اذا كان يصور مشهدا أفضت إليه عبقرية المتنبي وخبرته.

وحملت ذهنيته مستويات المعرفة وحسن القدرة على الوصف والربط بين الكلمات والمعاني والصور البلاغية فخالف الشاعر سير الزمن وتوقع أحداثًا مستقبلية قبل وقوعها والنتائج المترتبة على هذه الرؤيا، أما قول المعري(ت:٤٤٩هـ) من [البسيط] (٢):

يـا آلَ يَعقوبَ مـا تَوراتُكُم نَبَـأٌ (مِن وَري زِنـدٍ وَلَكِن وَريَ أَكبـادِ
إِن كـانَ لَم يَبـدُ لِلأَغمـارِ سِـــرُّكُمُ فَـإِنَّــهُ لِـيَ فـي أَكـنـانِــهِ بـادِ
لَـقَـد أَكَـلـتُـم بِـأَمـرٍ كُـلُّــهُ كَـذِبٌ عَــلــى تَــقــادُمِ أَزمــانٍ وَآبــادِ

(١) ديوان المتنبي :٣٧٧.

(٢) ديوان ابو العلاء المعري، اللزوميات لشاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء ، تحقيق: أمين عبد العزيز الخانجي ، منشورات مكتبة الهلال، بيروت ، ومكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٣٣٢ هـ:٢٧٦/١

وَرابَني أَنَّ أَحباراً لَكُم رَسَخوا في العِلمِ لَيسوا عَلى حالٍ بِعُبّادِ

استشرف الشاعر المستقبل وقفز على حاجز الزمن وكانت رؤياه قرب علو اليهود وتمكنهم من العرب والمسلمين مستمد من وعي فكري وتجربة وعمق ديني وثقافة واسعة ساهمت في ايجاد صياغات وعلاقات لغوية حيرت العقول وخلقت حدس استشرافي مفاده تحذير العرب والمسلمين من علو اليهود فصاغ ذلك بأسلوب شعري يحمل صورة ذهنية وفطنة، فاستعمل لفظ (آل يعقوب) في إشارة إلى العقبى[1] الذي يخلف من كان قبله بالخير لكن انزاحت إلى ((ظالم والمظلوم فاليهود كتبوا توراتهم بأيديهم وادعوا دولتهم وأقاموها مستندين إلى أساس ديني لترسيخ ادعاءاتهم كأنه أشار في مفردة يعقوب إلى طائر العقاب الذي يأكل الطيور الأخرى تدعمه مفردة (أكلتم) وما تحمله من إيحاء إلى الاستغلال والظلم لمن هم اضعف منهم فشاعرنا المعري قد تنبا بقيام الكيان الصهيوني داخل فلسطين))[2].

تحمل الابيات تحذيراً للعرب والمسلمين من الخطر المحدق بهم وان لا ينخدعوا بما يعلنون من ادعاءات وانهم يظهرون شيئاً ويخفون الحق والكره للإسلام.

وفيه استشراف وإشارة إلى العاقبة أي جزاء العمل نتيجة طبيعية لفعل ما تؤدي إليه الحالة أو الحادثة.

لقد كشفت الصورة الذهنية عن قدرة النص العباسي على الامتداد أبعد من حدود اللحظة الراهنة للتنبؤ المستقبل بوصفها تصور عقلي مركبة نابعة من واقع معرفي.

---

(١) لسان العرب: مادة عقب.

(٢) يُنظر: الشعر واستشراف المستقبل قراءة استشرافية لنص من شعرنا القديم (أبو العلاء المعري نموذجا): الهادي عمر الفيتوري النجار ، مجلة شما لجنوب ، جامعة مصراتة ، العدد الرابع عشر ، ٢٠١٩ م: ٤٥.